طريق الذكريات

شيء فقدته ، وهي الآن تسترده .

انطلقت ليلى تركض كانها تسابق الريح ، كانت تريد ان تصل قبل الريح لترتمي في حضن امها كطفلة مدللة ، قد شاقها طول الغياب ، لكن ركضت وراءها وقلت : لا تتعجلي يا ليلى فها نحن قد وصلنا ، ويجب ان ناخذ حذرنا لان ذئاب الليل في هذه المدينة وكل مدننا كثيرة ، لذلك لا تتعجلي .

سرنا بحذر ، لكننا ابتعدنا عن الشارع العام ، واخذنا نجتاز الازقة ، الى ان تنفست ليلى الصعداء ، وابتسمت ، ثم استطردت تقول : لقد وصلنا البيت يا احمد ... ارجو ان تقضي ليلة سعيدة مع اهلي ، وتوقفنا عند باب لا يعلو المترين ، وقد صبغ باللون الاخضر . كانت حلكة الليل قد بدات رحيلها ، ونسيم الوطن يبعث في النفس الامل والطمانينة ، وكان الهدوء لم يزل يلف المنطقة نسبيا ، الا من اصوات سيارات كانت تنبعث من مكان قريب . ودقت ليلى الباب بحذر وقالت : هذا هو بيتنا يا احمد ، كم هو جميل هذا البيت الذي انشاني طفلة حيث هنا مرابع طفولتي .

لحظات مرت ، وقد شق الباب شقا صغيرا ظهر منه وجه امراة لا يتجاوز عمرها الاربعين ، وفتحت الباب كله ، ودخلنا ، وبدا العناق ، وبدات القبل تنهار على وجنتي ليلى .

هذا احمد يا امي ، رفيقي في التنظيم ، نظرت الام الحنون الي واقبلت تعانقني ، كان عناقها كعناق اي ام ، يتجلى فيه الحنان ، والعطف والمودة، كيف لا وكل ام في ارضي هي امي .

وبعد تداول الاسئلة عن الصحة والاحوال، ذهبت الام الى المطبخ لعمل ما تيسر عندهم من طعام ، واخذتني ليلى الى غرفة كانت شبه فارغة ، الا من طاولة صغيرة ، كانت تقع في احدى زوايا الغرفة ، اما الحائط كان يوجد عليه صورة شاب وسيم لم يبلغ بعد العشرين من عمره . انه هاشم رفيق طفولتها .

وكانت على تلك الطاولة تطالع دروسها ، وكان يشاركها هاشم ، هاشم ... ذلك الوجه التي احببت، احبت ذلك الوجه ، لان الوطن دائما في مخيلتها ، لانه باتي مع وجه هاشم الذي خلف وراءه وبيع مرج ابن عامر يزدهر داميا كل عام ويزهر انتصارات كل يوم .

وفي تلك الاثناء دخل رجل لا يتجاوز الخامسة والخمسين من عمره ، اما تقاطيع وجهه كانت تدل على الحيوية والنشاط اللذين يتمتع بهما ، متوسط الطول . كان هذا هو والد ليلى ، مثالا للفلاح الذي يحب ارضه ونفسها ، لكن ماذا وقد سلبت ارضه؟ وارض الكثيرين من ابناء شعبنا ، ليقيم عليها العدو مبانٍ ومستعمرات ، وبعد فترة جاءت والدة ليلى بطبق وعليه بعض الطعام . واكلنا ما تيسر لنا من طعام . اما انا وليلى لم نستطع ان نقاوم النوم ، فنمنا .

السينما السياسية..

ندوة المخرجين والنقاد في المركز الثقافي العراقي

عقد المركز الثقافي العراقي في بيروت ندوة عن السينما السياسية ضمت من المخرجين برهان علوية ، قاسم حول ، عدنان مدانات ، ومن النقاد جورج الراسي ، ابراهيم العريس ، ومحمد رضا . وقد ادار الندوة الناقد وليد شميط .

تحدث في بداية الندوة وليد شميط ، عن اهمية السينما ودورها النضالي كاداة تعبيرية هامة وفاعلة، وبشكل خاص السينما السياسية وتيارها في هذه المرحلة التي تشتد فيها الصراعات .. ولعل اهميتها في المنطقة العربية اكثر الحاحا .. ومن هنا الدعوة الى مناقشة تيار الفيلم السياسي في المنطقة العربية ..

قاسم حول ، اوضح رايا يفيد بان السينما السياسية ليست مرادفا لكلمة سياسة ، فالسياسة كعلم وكفن لا تنعكس على السينما السياسية . واخذ (حول) على الصحافة هنا نعتها لكثير من الاشرطة على انها سياسية .

يوصفون كل فيلم من افلام حركة المقاومة الفلسطينية بانه فيلم سياسي ، يوصفون كل فيلم فيه كلمات سياسية عن الصراع الطبقي والايديولوجية والاستعمار بانه فيلم سياسي .

يوصفون احيانا الافلام التسجيلية بانها افلام سياسية .. والى اخره .

الفيلم السياسي لا هذا ولا ذاك .. الفيلم السياسي هو الفيلم الذي ينظر للواقع وللعلاقات من منظور طبقي منحاز للطبقة العاملة وحتمية انتصارها . من هذا المنطلق يتنامى الحدث الدرامي باتجاه الواقع السياسي . وهنا فان الفيلم الذي ينتصر في نهايته لطبقة غير الطبقة العاملة لا يمكن ان يكون سياسيا لانه يسير باتجاه مضاد للواقع في حركته المادية . لاننا عندما نقول (منظور طبقي منحاز) ، فاننا نرفض بالضرورة التيارات المضادة لانها غير علمية في نظرتها .

برهان علوية ، نفى اساسا (في البداية) اي وجود لسينما سياسية . وقال هناك سينما بديلة . وهي تيارات نضالية وثورية . وقال (ان الفيلم البديل هو الذي لا يرفض بالضرورة اشكال السائدة ، وانما يرفض مضمونها .

ويفهم (علوية) بان الشكل في السينما لا تفقط البنية الدرامية او اسلوبية تسخر السينمائية ، وانما يدخل ضمن هذا الشكل الانتاج واشكال العرض وحجم الشاشة والفيلم واسلوب التوزيع وكل الاشكال الداخلية والخارجية المنعكسة على نتيجته النهائية مع المتلقي . ودعا برهان علوية الى مزيد من

على هامش موت ام كلثوم.. وفريد الأطرش قبلها

لا اعتراض ان تغني ام كلثوم صوت ذو طا
مغرقه بالآهات والفراق وكذلك فر
الاطرش ، تماما مثلما لا نعترض
موبهما .

ودون شك فام كلثوم صوت ذو طا
فزيولوجية غير عادية ولفريد الاطر
جوانب ابداعية مشابهة .

ماذا غنت ام كلثوم للجماهير العر
وماذا غنى فريد الاطرش لهذه الجماه
وماذا قدم عبد الوهاب وعبد الح
حافظ ؟!

وماذا قدم الآخرون من امثالهم ؟

« الليل وقمرو .. ونجومو وسهرو .. و
وانا .. »

« ياما حاولت انساك .. وانسه لحالي جد
وانسه العذاب اللي شعو في الوجود وياك »

واتاحت له فرصة جديدة للعمل ، وبمرور الوقت تلاشت فرصة السينما الجديدة الشابة والنضالية لتصبح في معاناة جديدة محاصرة .

وركز جورج الراسي على السينما الفلسطينية بنضالية واعتبرها سينما هامة وفاعلة ، وعزا ذلك لكونها حرة في عدم خضوعها لقوانين واعتبارات الانظمة .

عدنان مدانات ، علق على احد الاراء التي اشارت الى الفيلم السياسي ، كفيلم (زد) ، واوضح بان فيلم زد استعار شكل الفيلم السياسي ضمن مضمون

العربية البديلة سنويا حتى تصبح ظاهرة تؤثر في النهاية ، وبالضرورة الى نوعية الانتاج البديل .

جورج الراسي ، تحدث عن تجربة القطاع السينمائي العام في المنطقة العربيه ، واعتبر المشكلة في الاساس سياسية بحتة . فان القطاعات العامة التي اخفقت تجربتها حتى الان ، تعكس الواقع السياسي العربي المتارجح ، كواقع بورجوازي ، برمان ما يترنح باتجاه مضاد للحركة المتقدمية في حالة تتفقها الواضح والهادف .. وهكذا مالت تجربة القطاع العام باتجاه مغازلة القطاع الخاص ،

عادي ، واعتبر فيلم (قضية ماتي) للايطالي (فرانشيسكو روزي) هو النموذج السياسي في السينما ، ولكن عدنان اعتبر بان تعبير (فيلم سياسي) مئات من كلمة سياسة . واكد بان هناك فيلم سياسي رجعي وهناك فيلم سياسي تقدمي .

وهنا عاد قاسم حول ليؤكد بان الفيلم الذي يطرح موضوعا سياسيا رجعيا لا يخضع لمعيار العلم السياسي الذي نشا بالاساس كرد على كل مضامين واشكال السينما التقليدية الرجعية قبل حوالي اثنا عشر عاما .

محمد رضا ، اعتبر كافة الافلام هي افلام سياسية (خلي بالك من زوزو) ، (بمبه كشر) ، افلام الكاوبوي الامريكية .. الى اخره .

« محمد رضا وقع في خطا بين مفهوم السينما السياسية كتيار وبين هذه الافلام الرخيصة التي تعبر عن الانتماء الاجتماعي والسياسي لمنتجي هذه الافلام ومنفذيها » .

ابراهيم العريس ، تحدث عن القطاع السينمائي العام ، وبشكل خاص تجربة مصر وسوريا ، وتحدث عن التوجه السياسي الذي ادى الى انهيار هذه التجربة وفشلها . واعتبر كافة الافلام هي معبرة عن ايديولوجية محددة وهي بالضرورة افلام سياسية.

في النهاية انهى وليد شميط الندوة ودعى الى مزيد من الندوات التي تناقش جملة الخطوط التي طرحت في هذه الندوة بغية التوصل الى مفاهيم واضحة عن هذه الاتجاهات وموقع الفيلم العربي ضمنها .

■

« يا ريتني منديل بعبك
دايما بسمع دقة قلبك »
« يا ريتني عبد من عبيدك
وليل ونهار ما بين ايدك »

كل هذا الانين ، وكل تلك الدموع التي لو ذرفت لسقت كل مزارع الفلاحين في المنطقة العربية .. ماذا تعني .

كل ذلك يعني ، ان حالة اجتماعية من الشقاء عانها الناس تحت ظل الاحتلال والهيمنة والتسلط والاحتكار ، وحالة من العبودية ، وحالة من ظلام الاقطاع وتسلطه .. وجاء المغنون العرب ، ليس لزرع الامل في نفوس الناس ، وليس لدفعهم لمواقع نضالية تسهم في تفجير الوعي الثوري ، وليس تنبيه الناس الى حالة البؤس التي يعيشونها وحالة القمع التي يعانون منها ، بل ليكونوا جزءا من هذه الحالة مجسدا لها ، ليزيدوا ويجسدوا هذه الحالة المساوية لتصبح اكثر ميلودراما .. لتصبح فاجعة تخلق حالة من اليأس والخنوع .

لو اخذنا كل ما غنته ام كلثوم من عذب الحبيب والفراق لسقط كله امام اغنيتها

« اصبح عندي الآن بندقية
الى فلسطين خذوني معكم »

فاثر بضعة التفاتات تشيدية في حياة ام كلثوم وفريد الاطرش ولكنها تكاد تكون مصادفة دفعتها الضرورة . ونحن نقيم هذه الالتفاتات ونعتبرها علامة مضيئة في حياة ام كلثوم وفريد الاطرش .

ان جماهيرنا امام حالة تتطلب من الفنانين ان يلعبوا دورهم ضمنها ، وقد يصبح من الصعوبة ان نطلب هذا ، لاننا عندما نتامل حالة هذا الفنان او ذاك ونحاول ان ندرس وعيه ، نعرف انه ليس اكثر من نتاج هذا المجتمع ضمن هذا التكوين السياسي ، فالحالة السياسية التي تفرز حالة اجتماعية معينة، تفرز هي الاخرى نماذج متباينة ومتفاوتة في وعيها وانتمائها .

من هذا المنطلق نحن نقيم الفن ، ومن هذا المنطلق ننظر الى واقع الغناء العربي .

بقيت مسالة اثيرت اكثر من مرة وفي اكثر من مجال من المؤكد اننا نشعر بالحزن لغياب فنانينا ، من المؤكد ان فقدان ام كلثوم كصوت وفريد الاطرش كصوت ، وكلاعبا كموهبة غنائية موسيقية يترك فراغا في الوسط الفني ..

والمسالة التي اثيرت اعلاميا ، ورددها الناس ، هي موضوع تشييع جثمان ام كلثوم ومن قبلها فريد الاطرش ..

فالوا عندما وصل جثمان فريد الاطرش كانت هناك تظاهرة .. وقد سربوا نعشه ودفنوه ، وعادت الجماهير الى بيوتها دون ان تشترك الجماهير في عملية التشييع ..

وقالوا ان ام كلثوم ماتت

ثم لم تمت وفتح تحقيق في تسرب نبأ موتها وحياتها ثم ماتت ..

دفنت ..

لم تدفن ..

متى تشيع .. لا احد يدري

تساءل الناس وقالوا ان السلطات المصرية تخشى من استغلال التشييع بهذه الحشود الكبيرة ، خوفا من تحويلها التظاهرة الى تظاهرة سياسية ..

سادتي ..

الجماهير لا تنتظر موت هذا المطرب او ذاك لتعبر عن غضبها ..

الجوع هو الذي يحرك الجماهير

الاضطهاد هو الذي يجعل هذه الجماهير تثور

القمع البوليسي هو الذي يدفع بموج الناس للاحتجاج والغضب .

كل ما حصل بهذا الصدد لا يعكس سوى ضعف السلطة وخوفها من الجماهير ، اما الجماهير المصرية ، فان حالة الاضطهاد والتسلط وحالة التجويع هي التي تحركها ، لا موت المطربين .

رحم الله ام كلثوم

ورحم الله فريد الاطرش

ورحم الله جماهيرنا في مصر العربية ، فالرحمة للاحياء وللاموات على حد سواء .

« مفتي الحي »